

إشكالية تصنيف النصوص (معالجة تعليمية)

د/ بشير إبيرير

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة عنابة

Résumé :

La classification des textes est une problématique qui a suscité beaucoup d'intérêts dans la littérature occidentale, et que la langue arabe, pour différente raison, ne lui a pas donné d'intérêt .

Ce qui m'a poussé a soulevé le problème; en essayant de l'expliquer selon le besoin de l'enseignement, et en précisant l'objectif de la classification, avec des exemples. Et enfin, en proposant une classification qui contient le texte littéraire, informatif, argumentatif, scientifique, et fonctionnel administratif. Une classification que nous pensons qu'elle est bénéfique pour l'enseignement.

المخلص :

يعد موضوع تصنيف النصوص إشكالية قائمة بذاتها حظيت بدراسات عديدة في اللغات الأجنبية لكنها لم تحظ بالعناية في اللغة العربية لعوامل عديدة .

ولهذا اخترت أن أثير الموضوع وأطرح الإشكالية وأحاول شرحها وتفسيرها بحسب ما تقتضيه المعالجة التعليمية وذلك بالبحث في الهدف من التصنيف ، وتقديم بعض نماذجه واقتراح تصنيف خاص يشمل النصوص الأدبية والإعلامية والبرهانية الحجاجية والعلمية والوظيفية الإدارية، نراه يعود بالنفع على العملية التربوية.

1- طرح الإشكال وتحليله :

تعد مسألة تصنيف النصوص إشكالية قائمة بذاتها بين علماء النص وعلماء تدريس اللغات ؛ فعلى أي أساس يتم التصنيف ؟ وما هي المنطلقات النظرية والأسس المعرفية والإجراءات المنهجية التي تقتضيه ؟.

بذلت محاولات عديدة وما تزال لتصنيف النصوص ومحاولة تبيان التداخل الموجود بينها وذلك يقتضي البحث في خصوصياتها من حيث الشكل والمحتوى .

فمن الدارسين من أعطى الأهمية للشكل ومنهم من أعطاها للمحتوى ((ومن ثم اتجه التحديد إلى التركيز على عامل داخلي نصي أو عامل خارجي نصي أيضا . بل لوحظ الميل إلى ضرورة التوفيق بينهما في بعض الاتجاهات النصية)) (1) .

يرى الدكتور باسل حاتم (2) أن بنية النص ليست محايدة ولا هي قائمة على أسس علامية خالصة وإنما تتأثر بنوعية النص بالدرجة الأولى ؛ معنى ذلك أن النص هو جماع عمليتين إنتاجيتين .

تتعلق الأولى بما يقتضيه الإطار العام للنص أو " الظرف السياقي " كما يسميه باسل حاتم، وتتعلق الثانية بمكونات النص الداخلية من جمل وكيفية تتابعها وفق الأسس التي يقتضيها الإطار العام للنص وبهذا فإن العمليتين متكاملتان .

ثم يذهب إلى أن النصوص تتأسس بناء على تفاعل المقترضات التواصلية والسميائية والتداولية وهي التي يمكننا بناء عليها تحديد الإطار النوعي للنص الذي ينظم الكيفية التي يسير عليها تتابع الجمل والفقرات في داخل النص والنهاية التي يمكن أن ينتهي إليها (3).

إن ما يمكن الإشارة إليه أن مسألة تصنيف النصوص مسألة قديمة حتى وإن كان الوعي بها غير مكتمل من الناحية المنهجية ، فقد نشأت قبل نشأة ما يعرف الآن بعلم النص TEXTOLOGIE وقد أهملت كثيرا من المسائل التصنيفية أو قد استبعدتها عمدا (4) . من ذلك مثلا : إخراج الأشكال النصية الناشئة عن اللغة اليومية لكونها متداولة على الألسنة ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالواقع وبذلك فهي تفتقد إلى معيار أساسي وهو الجانب الفني الذي

يحقق المتعة للقارئ ويجعله يبحر في الإيحاء والوهم والخيال ويرتحل بين الدلالات والمعاني

وبهذا انصب الاهتمام على اللغة الأدبية فحظي النص الأدبي بكثير من الدراسات ؛ لأن به مستوى بلاغيا بيانيا يحتمل فنون التأويل .

وقد نتج عن هذا مسألة في غاية الخطورة . في نظري ، تتمثل في اقتصار إقراء النصوص مدة زمنية طويلة على المنظرين التربويين دون غيرهم ؛ فهم الذين ما فتئوا يعلمون كيفية هجاء الحروف وقراءتها . وقد تركز اهتمامهم في ذلك على النصوص المختارة لكبار الأدباء والشخصيات بحجة أن هذه المختارات بها القدر الكافي من البلاغة الذي يفيد المتعلم في حياته الدراسية ومن هنا صار النص الأدبي في بؤرة الشعور والاهتمام داخل المؤسسة التعليمية ثانوية كانت أم جامعة وأصبح الحديث عنه يتم بكثير من الرومانسية فيقدم على أنه ذلك النص الممتاز الذي لا يجارى أو لا يشق له غبار .

إننا لا نعارض ذلك ؛ لأن الأدب متعة ودهشة وإحساس فياض ومشاعر متفجرة تعبر عنها اللغة وهو نتيجة ما في الأديب الفنان من تباين وفردية وفي ذلك تكمن أصالته (5) وإنما نحاول لفت الانتباه إلى أنه لا يمكن الاكتفاء بمعرفة اللغة في جانبها البلاغي فحسب بل تقتضي الضرورة أن يجيد المتعلم استثمارها بحسب مقتضيات الحياة العملية والعلمية في إطار ما تحتاج إليه الحياة الاجتماعية المحيطة بنا ووطنيا وعالميا وما تتطلبه الممارسة الوظيفية للغة في عالم الشغل ولهذا أذهب إلى أن تكون النصوص متماشية مع الواقع الحياتي المعيش للمتعلمين مرتبطة بالتعبير عن أغراضهم وحاجاتهم المختلفة ؛ إذ كثيرا ما يجد المتعلم نفسه بعد أن يغادر المؤسسة التعليمية مدرسة أساسية أم ثانوية أم جامعة ، وكأنه لم يتعلم شيئا في التواصل مع المؤسسات الاجتماعية المختلفة مما يدخل في قضاء حاجاته فلا يعرف كيف يكتب طلب عمل مثلا، أو فاكسا أو برقية (6) . وهذا الهدف لا يتحقق فيما يمكن أن يسمى الأدب الخالص وإنما هو متوافر في جميع ميادين الثقافة (7) .

إن النص الأدبي . في رأيي . تتلاقى فيه جملة من المعارف أهمها : المعرفة الأدبية واللغوية وقد نجد فيه المعرفة التاريخية والنفسية والسياسية والاجتماعية وحتى المعرفة الاقتصادية والعلمية وهو ما يلقي مسؤولية إضافية على كاهل المشتغل بالأدب كتابة وقراءة في التزود من هذه المعارف بقدر الإمكان للاستعانة بها في كتابة النصوص الأدبية وقراءتها والكتابة عنها وتحليلها (8).

والذي يقتصر على المعرفة الأدبية وحدها سيظل على سطوح النصوص عاجزا عن سبر أغوارها والنفوذ إلى أعماقها ، إن قراءة الشعر أو الرواية ... تحتاج إلى ملكات معرفية ومنهجية عالية لا تتوفر في الأدب وحده . وإن البلاغة لا تكمن في المجاز وحده وإنما هي حقيقة ومجاز وكما تكمن في المجاز تكمن في الحقيقة ولا يمكن فهم المجاز إذا لم تفهم الحقيقة ؛ لأن المجاز قسم الحقيقة . فعلينا أن نراعي هذا في مناهجنا التعليمية ؛ لأن اللغة العربية ليست بهرجا وتنميكا وزخارف ألفاظ وإنما هي لغة للعلم والتفكير العالي صالحة أن تؤدي بها مختلف الوظائف في واقع الحياة .

قال توفيق الحكيم في رسالة كتبها إلى صديق له من الأجانب ((... قبل كل شيء أحب أن أقول لك أن أولئك الذين علمونا اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية كانوا يجهلون لا معنى العربية وحدها بل معنى اللغة على الإطلاق ... إنك لن تجد مستتيرا في مصر لا يقول لك إن العربية . للأسف . قاصرة عن التعبير في شتى العلوم والفلسفة والتفكير العالي ، بل منهم من يقول إنها ليست لغة تفكير ، إنما هي لغة بهرج وتنميق لماذا ؟ السبب بسيط : هو أن النماذج التي وضعت في أيدينا . ونحن صغار . للبلاغة العربية ، كانت كتبا غثة المعنى متكلفة المبنى لو كتب بها شخص اليوم لأثار سخرية الناس ! ... نعم ... إنهم يعلموننا في المدرسة لغة إذا استعملناها في الحياة ضحك منا الناس)) (9) .

قد يقول القائل : إن هذا الرأي الذي قدمه توفيق الحكيم كان في زمن بعيد والحياة قد تغيرت وتطورت ولم تعد مناهجنا الدراسية كما كانت عليه . ولكن الحقيقة ليست كذلك فبالرغم من كون هذا الكلام قد قيل منذ زمن بعيد فإنه ما زال يعبر عن حقيقتنا في تدريس لغتنا أو إن شئت فقل عن جرائمنا في تدريس لغتنا فالدرس البلاغي ما زال يدرس بعيدا

عن سياقاته النصية ومقامات إنتاجه وقوله وهو أشبه بقوانين صماء وقواعد جافة لا روح فيها تدفع بالمتعلم أحيانا للتساؤل عن جدواها ؟

فعندما نقول : سعيد أسد ونعمل على إفهام المتعلم أن هذا تشبيه بليغ فيه المشبه والمشبه به وحذف منه وجه الشبه وأداته ، وذلك لأن سعيدا في شجاعته وقوته كالأسد في قوته وفي المساء يشاهد المتعلم في التلفزيون الأسد ينفذ أوامر رجل السيرك الذي روضه وصيره أليفا أو شبه ذلك فإنه قد يتساءل عن هذه الشجاعة ولعله يقلب الصورة البلاغية " الأسد سعيد " إن جاز هذا التعبير .

وعندما نقول فلان كثير الرماد بأنه كريم لأنه كثير الحرق وكثير إشعال النار ... إلخ ويوجد من المتعلمين من لم ير الرماد ولا يعرفه كما كان الحال في الماضي فكيف سيفهم الصورة البلاغية ربما لو نظهر له فاتورة الغاز والكهرباء أو نحدثه عنها لكان أحسن !! وهكذا كل نص كتب بأسلوب بسيط يتم إقصاؤه بحجة أنه غير بليغ .

لقد وسع علماء النص من نظرتهم للغة فلم تعد محدودة مقتصرة على النماذج البلاغية ولا على نوع واحد من النصوص ، ونظروا إلى مختلف أنواع النصوص وأحاطوها بالعناية فرما " تتضمن بعض أشكال اللغة العادية مدلولات ثرية تعجز أشكال أخرى عن تحقيقها . " (10) فالممارسة اللغوية تبين نشاطات المتكلمين المنجزة التي تنتج عنها نصوص تعبر عن مقاصدهم وأهدافهم وحاجاتهم ولذلك يمكن لمنكلم ما أن ينتج نسا بغية تبليغ سامع معلومات محددة أو ليحصل منه على معلومات بعينها أو ليحفزه على إنجاز عمل ما أو ليقتنعه برأي ما أو لينقل إليه أحاسيس جمالية أو ليطلب منه إبداء رد فعل تجاه قضية من القضايا ... إلخ .

وبناء على هذا يمكن التعرف على المجالات الوظيفية الآتية باعتبارها أهدافا اجتماعية ممكنة :

* إبلاغ المعلومات بواسطة النصوص .

* التعلم بواسطة النصوص .

* إصدار تعليمات بواسطة النصوص .

* نصوص لإنتاج جمالي أدبي .

* الإقناع بواسطة النصوص . (11)

ما يلاحظ على هذا الرأي أنه يوسع من نطاق النصوص وهو لا يفرق بين ما تنتجه اللغة الشفوية من خطابات وما تنتجه اللغة المكتوبة من نصوص فالعبرة بالنشاط اللغوي المنجز والأهداف الاجتماعية التي يخدمها وسياقات النشاط التي يرتبط بها .

2- لماذا تصنيف النصوص ؟

تقتضي المعالجة التعليمية لتصنيف النصوص أن نراعي جملة من المعطيات منها :

- محاولة الانطلاق من تعريف إجرائي للنص نراعي فيه أن يكون شاملا لأكبر عينة من النصوص .

- محاولة تحديد أهداف خاصة بالتصنيف فلماذا تصنيف النصوص ؟ ما هي الفائدة من وراء ذلك ؟

- محاولة إيجاد تصنيف خاص بنا لا ندعي له الكمال أو أنه بديل عن التصنيف التي سنذكر بعضا منها ؛ وإنما لكونه ينسجم مع وجهة النظر التي ننطلق منها .

إن النص بنية دلالية ينتجها فرد واحد أو جماعة ضمن بنية لغوية مترابطة منسجمة تؤلف نسيجا من الكلمات والتراكيب والعناصر المكونة لنظام اللغة وهو معرفة ثم إنشاؤها ضمن ثقافة ما ؛ ذلك أن المعرفة تتلخص في النص وهو الذي يحفظها ويبلغها عبر الزمان والمكان . ولأهمية النص من حيث كونه حدثا كلاميا مكتوبا يؤدي وظائف متعددة ظهرت علوم كثيرة انبرت لدرسه من نواحي كثيرة ، وبذلك تنوعت النصوص بتنوع المعارف الإنسانية في الآداب والعلوم والفنون **فلكل معرفة نصوصها (12)** .

يتضمن هذا التعريف جملة من المسائل منها :

- النص بنية دلالية ينتجها فرد أو جماعة .

- أن ذلك يتم بالنظر إلى النظام اللغوي في ترابطه وانسجامه .

- ضمن ثقافة .

- النص وسيلة لحفظ المعرفة ونقلها في الزمان والمكان .

- تنتوع النصوص بتنوع المعارف .

- لكل معرفة نصها الذي يعبر عنها ويحفظها ويبلغها .

بناء على هذا فإن الهدف أو الأهداف التي يمكن تحديدها في هذا الموضوع هي :

- محاولة الاستفادة من الإمكانيات التي يتيحها الكلام والتحكم فيها واستعمالها بوعي وتبصر في ممارسة التعبير والتواصل مشافهة وتحريرا .
- توجيه المتعلمين حتى إن كانوا في الجامعة ، إلى معرفة أنواع النصوص وأنماطها وما تقتضيه حاجات الكتابة والقراءة وذلك بمعرفة الخصوصيات المميزة للنصوص ولماذا نضع هذا النص ضمن هذا التصنيف ولا نضعه في ذلك ؛ فنرى أن هذا سيعود بالفائدة على النص الأدبي كذلك ؛ فعندما يعرف المتعلمون خصوصيات النص العلمي مثلا سيقارنون بينها وبين خصوصيات النص الأدبي . إن الوردة عند الكيميائي تختلف عنها عند الشاعر وإن القلب عند الطبيب عضلة تؤدي وظيفة محددة بينما هو عند الأديب عالم من الخيال والحلم والرمز .
- التفكير في بيداغوجيا جديدة من أهدافها التوجه نحو التحكم في ممارسة اللغة المنطوقة والمكتوبة وتنظيمها بالنظر إلى مقتضيات التواصل والظروف والمقامات التي يحدث فيها والملابسات التي تحيط به .
- محاولة الإفلات من سلطان البلاغة النظرية وممارستها الكلاسيكية الرتيبة وذلك بالبحث في العلوم اللسانية الحديثة وما بوسعها أن تقدم من فوائد عميمة ينتفع بها في النهوض بمستوى ممارسي العملية التعليمية في مؤسساتنا .
- وتجدر الإشارة هنا إلى أنني وأنا أدرس بالجامعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة مادة : " تحليل الخطاب " بدءا من سنة 1992 إلى سنة 2000 قد تبين لي ما يلي :
- تعود الطلبة على التعامل مع نوع واحد من النصوص وهو : النصوص الأدبية بحكم تخصصهم في اللغة والأدب فلا يخرجون عنها .
- تعودهم على استعمال قوالب جاهزة مع جميع النصوص التي يحاولون تحليلها مع خصاصة واضحة في المفاهيم وإجراءات التحليل .
- كثير منهم لا يتذوق كما ينبغي له الجمال الكامن في النصوص الشعرية والروائية والقصصية ؛ لأن زادهم القرائي قليل نادر ؛ ولأنهم بمرور السنوات التي قضاها في التعليم الثانوي والجامعي وبحكم الممارسات التعليمية التي طبقت عليهم وتلقوها قد قنلت فيهم جذور الشوق والتوق للدرس الأدبي بالإضافة إلى أنهم أصبحوا يحملون ذاكرة كلاسيكية للأدب

وتصورات قاصرة عنه . وقد لاحظت يومها أن البرنامج المقرر في تحليل الخطاب لا يفي بحاجة الطالب الجامعي الذي عليه أن يتعامل مع خطابات ونصوص كثيرة ومتنوعة في مجالات المعرفة والثقافة . وأنه غير مؤسس على معرفة منهجية وعلمية واضحة وإنما الذين وضعوه غير وعاء بمفهوم المادة في حد ذاته وهي إشكالية خطيرة .

وحينها بدأت تجربة مع الطلبة قررت الخروج فيها عن المحتوى المقرر فنوعت النصوص بين الأدب والعلم والإشهار ... إلخ مع رسم طريقة واضحة في التحضير والتقديم والتوجيه . وأشهد أن الطلبة قد أصبحوا يتميزون بالحيوية والنشاط والإقبال على درس الأدب لأنهم وجدوا أنفسهم فيه وصار يخاطب عوالمهم المشغولة من الداخل ومنهم من قدم لي أعمالاً تطبيقية في المستوى المطلوب تذكر فتشكر .

لهذا كله أرى أن تصنيف النصوص له فوائد بيداغوجية خصبة ولذلك حظي بالدرس والبحث وبخاصة في الدراسات الغربية التي أصبحت تركز كثيراً على مستوى التداول ومنهجيات الانتفاع به .

3- بعض نماذج التصنيف : توجد تصنيفات كثيرة للنصوص نذكر منها :

أ- قدم جلنس " H.GLENZ " تصورا يقوم على أسس تواصلية دلالية تبرز الوظيفة الأساسية أو مفهومها يندرج تحت مجموعة من الأشكال النصية المشتركة في الوظيفة المحددة ، وهكذا يمكن أن تكون أنماط النص الرئيسية كما يلي :

- 1- نصوص ربط (وعد ، عقد ، قانون ، إرث ، أمر) .
 - 2- نصوص إرشاد (التماس ، دفاع ، نصوص عادية ، خطاب سياسي كتب تعاليم وإرشاد)
 - 3- نصوص اختزان (ملاحظات ، فهرس ، دليل تلفون ، يوميات ، تخطيط ، مسودات)
 - 4- نصوص لا تنشر علانية (تقرير ، عرض ، رسالة ، بطاقة) .
 - 5- نصوص تنشر علانية (خبر ، كتاب ، دراسة ، رواية ، قصة ، مسرحية ، شعر) .
- وبهذا تراعي النظرية النصية كل أشكال التواصل دون تمييز من خلال تصور جلنس .

ب- قدم إيجنفايلد EIGENWALD (14) نموذج التصنيف الآتي :

| نمط النص | أمثلة نصية |
|---------------|---|
| 1- نص صحفي | نص خبري، تقرير ، افتتاحية ، تعليق |
| 2- نص اقتصادي | الجزء الاقتصادي في صحيفة |
| 3- نص سياسي | خطبة سياسية ، قرار ، منشور ، بيان تنديد |
| 4- نص قانوني | رسالة محام، نص دستوري، حكم قضائي، نص معاهدة |
| 5- نص علمي | نص من العلوم الطبيعية ، نص من العلوم الاجتماعية |

نلاحظ في هذا التصنيف أن صاحبه حاول أن يحصر تصنيف النصوص والمحادثات بحسب مجالات النشاط الممارس ووظيفة النص ومجالات المحادثة الهامة اجتماعيا . فإذا دققنا النظر في هذا التصنيف فإن ما يشد انتباهنا أنه لا يتأسس على معيار واحد ولا يحقق خاصية التجانس كما ينبغي وإن كان من الصعب أن يتحقق ذلك .

ج- قدم جروسه GROSSE نموذج التصنيف الآتي (15) :

| فئة النص | وظيفة النص | الأمثلة |
|-------------------------------|-----------------------------|--|
| 1-نصوص معيارية | وظيفة معيارية | القوانين ، اللوائح ، التوكيلات ، شهادات الميلاد ، وثائق الزواج |
| 2-نصوص الاتصال | وظيفة تواصلية | كتابات التهنة ، كتابات المواساة |
| 3-النصوص الدالة على مجموعة | وظيفة الدلالة على مجموعة | الأناشيد الجماعية |
| 4-نصوص شعرية | وظيفة شعرية | القصيدة ، الرواية ، المسرحية الفكاهية |
| 5-نصوص قائمة على الذات | وظيفة ذاتية | اليوميات ، سيرة الحياة ، ترجمة ذاتية يوميات أدبية |
| 6-نصوص قائمة على الطلب | الطلب | إعلان ، دعابة بضائع ، برامج حزبية تعليق صحفي ، كتابة رجاء ، التماس |
| 7-فئة التحول | وظيفتان مؤثرتان بالقدر نفسه | نصوص تقوم بوظائف طلبية ونقل معلومات |
| 8-نصوص قائمة علالخبر الموضوعي | نقل المعلومات | الخبر ، التنبؤ بالطقس ، النص العلمي |

يحاول هذا التصنيف أن يركز على الوظيفة التي يؤديها النص فهي التي تحدد الفئة الاجتماعية التي يتوجه إليها ، لكن ذلك يبدو غير كاف نظرا إلى أن الوظيفة من

الصعب حصرها في هذا النص دون الآخر ، فالوظيفة الشعرية مثلا لا تتعلق بالنصوص الشعرية فحسب ، وأن الرواية والمسرحية نوعان مستقلان يختلفان عن الشعر من حيث خصوصياتهما على مستوى البنية والدلالة .

ثم لماذا المسرحية الفكاهية فقط من دون أنواع المسرحيات الأخرى هي التي تحقق الوظيفة الشعرية ؟ ! أما وظيفة التواصل فلا توجد في كتابات التهئية والمواساة فقط وإنما توجد في كل الأنواع التي شملها الجدول وعليه فإن هذا التصنيف يفتقد إلى مطلب منهجي هو خاصية التجانس كسابقه .

لا بد من التأكيد هنا ، على أن برامجنا التعليمية لا تعير اهتماما إلى مثل هذه الأنواع من النصوص ولا تمكن المتعلم من التواصل معها ومعرفة خصوصياتها وما تؤديه من وظائف ، فبرامج المرحلة الثانوية الجزائرية . على سبيل المثال . تقتصر في مقرراتها على النصوص الأدبية دون غيرها والكثير منها صار بعيدا عن واقع المتعلمين شكلا ومحتوى حتى إننا لا نجد نصا واحدا يمثل المرحلة الزمنية المحددة من 1970 إلى 2003 مع أنها قد شهدت تطورات وإنجازات وأحداثا مختلفة في الفكر والثقافة والسياحة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ ... والجزائر والوطن العربي والعالم برمته ولا يختلف الأمر عنه كثيرا في الجامعة (16) .

د- التصنيف المقترح :

بناء على ما سبق ذكره نقترح التصنيف الآتي لكل الأنواع من النصوص المذكورة سابقا :

1- نصوص أدبية : وتشمل الأنواع الأدبية المتعارف عليها من شعر ورواية وقصة وسرد وأوصاف وتتميز بلغتها الخالقة المبدعة التي تهجر وتعبر وترحل بين الدلالات المختلفة ولذلك تتعدد قراءاتها وتتسع لوجوه التأويل ، كما تتميز بطاقتها الخالقة على الوصف الذي يتيح للقارئ المتعلم فرصة تصور الأماكن وتمثيلها بعناصرها المشكلة للنص (أشخاص ، حيوانات ، أشياء ...) .

وبما يسمح بالتعرف على طبائع الأشخاص ومشاعرهم وطرائق تفكيرهم وكيفية سرد الأحداث في ترابطها وتعاقبها وانتظامها ومحاولة النسيج على مناويلها لكتابة نصوص أخرى

تختزن اللغة الأدبية طاقة هائلة على الإيحاء لا تتوفر في مألوف الكلام وتتحول مع الآلة البيانية إلى مجمع دلالات ، إلى عالم مليء بالرموز ، إلى إضاءات كاشفة تتوسل التلميح دون التصريح والتعريض دون الإفصاح والإبهام دون الإيضاح بفضل المجاز الذي يقيم فجوة بين الكلمات والأشياء فيمنع تطابق الدال والمدلول ، وبذلك نجد أنفسنا أمام إحالة دائمة من دال إلى مدلول ومن مدلول إلى آخر ، فيتحول الكلام إلى استعارات لا تتوقف وبالاستعارة يتجدد القول وينبجس المعنى ، وبالكناية تشرق المخيلة وتنطق الرغبات ويتحدث الحلم (17) .

2- نصوص علمية : يتميز النص العلمي بكونه يقدم حقيقة لا يوجد فيها اختلاف بين الناس وإنما يستعينون في فهمها باختبار نتائجها اختبارا يخضع لوسائل مادية محسوسة ومعايير الحكم على مثل هذه الحقائق لا يترك مجالاً للصفات الفردية الخاصة التي تختلف بين الأفراد ، وإنما تكتسب معاييرها صفة العلمية لما لها من واقعية يؤكدتها المنطق وتثبتها التجربة العلمية (18) .

يعتمد النص العلمي على وصف الواقع والأشياء وصفا مباشرا دقيقا ، ولذلك فهو يهتم باللغة من حيث مصطلحاتها لا من حيث مفرداتها لأنها تنقل نتائج الدراسات والأبحاث العلمية المختلفة في الميادين العلمية . إن أهم ما يميز النص العلمي هو أن معجمه خال من الإيحاء لا يقبل الاشتراك اللفظي والترادف ودلالته محددة ليست مجازية لأن الكتابة العلمية الجيدة هي التقديم المختص والمركز على معرفة معلومة متعلقة بموضوع علمي . ونستمد هذا النوع من النصوص من الموسوعات اللغوية والعلمية ومن المجالات المتخصصة (19) .

3- نصوص إعلامية : تتمثل النصوص الإعلامية في الصحافة والإشهار ونستمدها من المكتبات والأكشاك والمراكز الثقافية والاشتراكات ، وتستند على مؤشرات مرئية مثل العناوين في كتابتها ومضامينها وأنواع الطباعة وتوجه لأغلب الجماهير لتمكنها من الفهم الإجمالي للأحداث الجارية .

اخترت إدراج هذا النمط من النصوص في حياتنا التعليمية ليكون المتعلمون ألفة معها ويطلعوا من خلالها على الأحداث الوطنية والدولية في الثقافة والاقتصاد والتاريخ ... إلخ ، ويقارنوا بينها وبين النصوص الأدبية مثلا من حيث اللغة والأسلوب والمحتويات المتنوعة وطرائق معالجتها للأحداث .

4- نصوص حاجية برهانية : يعد النص البرهاني أو الحجاجي (20) نوعا مهما من أنواع النصوص التي وصلت الدراسات بشأنه إلى نتائج هامة جدا ، وتعد الأبحاث حول هذا النوع من النصوص امتداد للموروث البلاغي فهو حقل دراسي جديد تم استثماره في دراسة النصوص الأجنبية بينما تفتقد لغتنا العربية لهذا النوع من الدراسات بالرغم من تنوع نصوصها (21) .

إن الهدف من النصوص البرهانية أو الحجاجية هو الإقناع وحمل المخاطب على الاعتقاد بالرأي والتأثير عليه بتقديم الأدلة والبراهين المختلفة " فأساس الترابط الاجتماعي يكمن في قدرة الناس على مناقشة الحجج التي تقف وراء أعمالهم وأفعالهم ؛ فالحياة الاجتماعية لتتعدم إن نحن عجزنا عن الإفصاح عن أسباب اختياراتنا " (22) ولهذا فإن البرهنة أو المحاجة ARGUMENTATION موجودة في مختلف الخطابات بما في ذلك الخطاب اليومي المتداول .

وتقوم " على إيجاد الروابط بين الألفاظ وبيحث عن التشابه الأصلي من وراء الاختلافات " (23) .

يستعمل صاحب النص الحجاجي في مخاطبة سامعه أو قارئه بغية إقناعه عدة كلمات وروابط لتنظيم التفكير مثل : ومع ذلك ، مع أن ، إذن ، حينئذ ، على حين ، مع ذلك عكس ذلك ، على سبيل المثال ، هكذا ، من أجل ذلك ، والدليل على ذلك ...

5- نصوص وظيفية إدارية : نقصد بها النصوص التي تتعلق بأداء الوظائف المختلفة أو تنفيذها مثل الوثائق الإدارية والتقارير والتعليمات ، وإذا اقترح التطرق إلى هذه النصوص فلكون برامجنا التعليمية لم تعر هذا النوع من النصوص اهتماما يذكر على أهميته ، ثم إن المتعلم سيجد نفسه مجبرا على التعامل مع هذه النصوص فيما يتطلبه قضاء حاجاته في الحياة الاجتماعية ، وهو لا يعرف عن هذه النصوص شيئا فلا يعرف كيف يكتب طلب

عمل مثلا ... أو غير ذلك من النصوص التي من هذا النمط ؛ لأنه لم يتعلم تقنيات الكتابة الإدارية من حيث التقديم والأسلوب والوضوح والإيجاز والدقة والموضوعية (24) . يستعمل هذا النمط من النصوص في كثير من مجالات الحياة اليومية مثل : البلاغات الإشهارية والفنون المطبعية والقرارات والتعليمات والتمارين المدرسية

6- ملاحظات : نقدم في الأخير الملاحظات الآتية :

- أ- لا نجد نصا يدور حول نوع واحد فقط من المعرفة ؛ فالتحقيق مثلا نجد فيه الجانب الوصفي والسردى معا وقد يخلص إلى حكم أو وجهة نظر .
- ب- نلاحظ أن الوصف موجود في النصوص العلمية والحجاجية والأدبية يصف الأمكنة والشخصيات بأسلوب وصفي يختلف عن وصف العالم لظاهرة ما أو حقيقة علمية .
- ج- من الصعوبة أن نحقق تكويننا في القراءة لكل نوع من النصوص التي تم ذكرها لأنها تبرز الطرائق المتبعة أثناء القراءة فقراءة تعليق صحفي أو موضوع إنشائي هي عبارة عن قراءة لوجهات نظر وآراء . ولهذا من المفيد أن نحلل القدرة على القراءة إلى أجزاء تبعا لفهمنا لهذه النصوص .

الهوامش :

- 1- سعيد حسين البحري - علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات . مكتبة لبنان 1997 - ص59
- 2- في كتابه : نظم الخطاب في الترجمة : نحو إعادة تعريف مفهوم القضية وجوابها من منظور نظرية أنواع النصوص .
- 3- انظر : يوسف نور عوض - نظرية النقد الأدبي الحديث - دار الأمين القاهرة 1994 - ص107 .
- 4- انظر : فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر - مدخل إلى علم اللغة النصي - ترجمة فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود 1999 - ص185 .
- 5- نعني بمصطلح أصالة جملة الخصوصيات الفنية والموضوعية المميزة للنص .
- 6- انظر : بشير إبرير ، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية - رسالة دكتوراه دولة - مخطوطة قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عنابة 2000 - ص256/257 .
- 7- المرجع نفسه - ص257 .
- 8- المرجع نفسه - ص265 .
- 9- وداد القاضي - مختارات من النثر العربي ، المؤسسة العربية للنشر بيروت ، لبنان ط(1) 1980 - ص11 .
- 10- سعيد حسن بحيري - علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات - ص60 .
- 11- انظر : مدخل إلى علم اللغة النصي - مذكور سابقا - ص118 .
- 12- انظر : بشير إبرير - توظيف النظرية التبليغية ... مذكور سابقا - ص (ي) المقدمة .
- 13- سعيد حسن بحيري - علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات - ص67 .
- 14- مدخل إلى علم اللغة النصي مذكور سابقا - ص192 .
- 15- المرجع نفسه - ص193 .
- 16- انظر : بشير إبرير - التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم - مجلة اللغة العربية عدد "4" المجلس الأعلى للغة العربية 2001 ص216/217 .
- 17- انظر: علي حرب - الحقيقة والمجاز : نظرة لغوية في العقل والدولة - مجلة دراسات عربية عدد"6" 1983 - ص40 .

- 18- انظر : محمد زكي العشماوي - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث - دار النهضة العربية بيروت ، لبنان - ص 2 و 3 .
- 19- انظر : بشير إبرير - توظيف النظرية التبليغية ... مذكور سابقا - ص 303 .
- وللمزيد من التفاصيل انظر : بشير إبرير - في تعليمية الخطاب العلمي - مجلة التواصل جامعة عنابة عدد "8" سنة 2001 .
- 20- لم يتم الاستقرار بعد على مصطلح واحد ، إذ يستخدم بعض الدارسين مصطلح " البرهاني " مقابل المصطلح الأجنبي ARGUMENTATIF بينما يستخدم آخرون مصطلح " الحجاجي " ويوجب وجود طرفين حاضرين يتنازعان الرأي ، وليس هذا المقصود منه بل إن الحاضر واحد أغلب الأحيان يسعى إلى إقناع مخاطب متخيل بموقف أو فكرة والتأثير عليه .
- انظر : للمزيد من التفاصيل عبد القادر بوزيدة - نموذج المقطع البرهاني أو الحجاجي ، مجلة اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، عدد "12" ديسمبر 1997 ص 326 في الهامش .
- 21- انظر : الحواس مسعودي - البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النحل نموذجا - مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر - عدد "12" سنة 1997 - ص 329 .
- 22- انظر : محمد يحياتن - نظريات المحاجة - اكتشاف جديد خصب ، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر - عدد "11" سنة 1997 - ص 285 .
- 23- انظر : علي حرب - الحقيقة والمجاز ... مذكور سابقا - ص 41 .
- 24- انظر : موهوب حروش - التعبير والاتصال بالعربية - الجزء (1) موفر للنشر - 1997 ص 50 .
- 25- انظر ك بشير إبرير - توظيف النظرية التبليغية ... مذكور سابقا - ص 335 .